الفصل السابع

المشروع الأميركي الغربي
إصلاح وتغيير أم إفساد وتدمير

obeikandl.com

obeikandl.com

منذ أن انفجرت الأرض العربية بينابيع النفط ظلت الولايات المتحدة متيقظة عينُها على هذه الثروة التي لا تضاهيها ثروة في العالم. ومن أجلها فقد شنت أميركا الحروب وخلقت أنظمة سياسية موالية لها وزرعت الشقاق بين أبناء الأمة في كل بلد وقطر حتى بات الوطن العربي اليوم ملهاة تعبث بها الأيدي الأمريكية الخبيثة.

ماتت المحاكاة الطائفية فأحيتها أميركا حتى وصلت حد الاقتتال بين المسلمين والمسيحيين وتجاوزت الحدود فوصلت حد الاقتتال بين المسلمين والمسلمين، ثم قفزت في التجاوز حتى تقاتل أبناء فلسطين في غزة والضفة.

إذاً هو المشروع الأميركي لتفتيت المنطقة وتقسيمها من جديد حتى تصبح الاثنتا وعشرون دولة ستة وخمسين كياناً طائفياً وعرقياً وما إلى ذلك.

كلّ ذلك يجري لخلق حالة عامة لدى أبناء الأمة يلفها اليأس والقنوط ويتغلغل في كيانها النفسي نمط من ثقافة الهزيمة والقابلية للاستعمار.

فلسطين أولاً:

إذا نظرنا إلى خارطة الأزمات في المنطقة العربية وجدنا أن الأزمة الأكبر فيها هي قضية فلسطين. فماذا فعلت الولايات المتحدة في هذه القضية؟

لن نخوض في دراسة الدعم الأميركي المطلق للكيان الإسرائيلي فقد أصبح الكل يعرف طبيعة هذا التحالف الديني والاقتصادي والعسكري الإستراتيجي. إنما الذي يدفعنا للتوقف عند فعل الولايات المتحدة في القضية الفلسطينية هو دعمها لفئة فلسطينية ضد فئة أخرى، أو لنقل دعمها لفئة فلسطينية يعارضها معظم أبناء الشعب الفلسطيني في داخل فلسطين والشتات.

ومنذ اتفاقات أوسلو عام 1993 بدا موقف الولايات المتحدة الذي يريد من تلك الفئة التي تسيطر على م.ت.ف أن تعترف بالكيان الصهيوني كأمر واقع مقابل أن يكون لهذه الفئة سلطة على غزة وعلى أجزاء من الضفة الغربية.

ومنذ ذلك الحين ظلت الولايات المتحدة تضغط باتجاه تنازل هذه الفئة عن عشرات الحقوق الفلسطينية. فأميركا تصرح علناً أنه لا عودة إلى حدود عام 1967. وتصرح بأن القدس عاصمة أبدية لـ (إسرائيل) وتصرح أيضاً بأن الكتل الاستيطانية الكبرى في الضفة أمر واقع لا يجب المس به وأخيراً يأتي الرئيس الأميركي بوش إلى رام الله بتاريخ 10/ 1/ 2008 ويعلن على الملأ أن مشكلة اللاجئين تحل فقط بالتعويض المالي. وليس مجال هناك للحديث عن ما يسمى حق العودة.

الأمر الغريب أن السلطة في رام الله ما تزال ترى في بوش الحليف الذي ينقذها والذي سيعمل كل ما بوسعه لتحقيق بقايا المطالب السلطوية الفلسطينية. فماذا تبقى من المطالب؟ الهم الأكبر لدى هذه السلطة أن تضغط إسرائيل عسكرياً وأميركا اقتصادياً وسياسياً ومالياً على غزة حتى يُقضى على فصائل المقاومة التي ما تزال ترفض الخضوع للأمر الواقع وترى في المقاومة سبيلاً للتحرير.

وتكبر المشكلة على مستوى الشعب الفلسطيني كله.

فالسلطة أصبحت في حلٍّ من تمثيل أبناء فلسطين المتواجدين في المخيمات الفلسطينية في سوريا ولبنان وداخل فلسطين 1948.

والفلسطينيون في الشتات وداخل فلسطين يرون أن هذه السلطة خانت المبادئ والأسس الفلسطينية ولا يهمها سوى بقائها في سلطة تقبض الأموال لنشر الفساد والإفساد وتوزيع الأموال على كل من يعترف بإسرائيل ويعشق أميركا والغرب وهنا يكمن بيت القصيد. وهو يعني أن أميركا استطاعت تثبيت سلطة فاسدة لديها كل القابلية للاستعمار ولثقافة الهزيمة.

دفعت بعضهم لإصدار وثيقة جنيف التي تلغي حق العودة. ودفعت بعضهم الآخر لمباحثات سرية مع بعض الجهات الصهيونية للتنسيق الأمني لأجل القضاء على كل مظاهر المقاومة في الضفة وغزة واعتقال كل من لديه نفس فلسطيني مقاوم.

وقد وصل الأمر بهذه السلطة إلى التخلي كلياً عن الدفاع عن أبناء مخيمات لبنان. وقد رأينا حرب الإبادة التي قام بها الجيش اللبناني في مخيم نهر البارد. فقد هُجر أكثر

من أربعين ألفاً من الفلسطينيين وقتل المئات. وبعد أن نُهب المخيم وسرقت محتويات البيوت العامرة قصفت هذه البيوت وأحرقت وأصبح المخيم ركاماً أمام بصر وسمع هذه السلطة وممثليها في لبنان. وما يزال الآلاف مشردين في القرى ومخيم البداوي ولا يعرف أحد ما سيكون المصير لهؤلاء الذين يُمنَعون حتى من زيارة ركام بيوتهم. وعلاوة على ذلك فقد سُربت معلومات مفادها أن السلطة الحاكمة في لبنان التي تمثل الفئات الانعزالية كانت قد اتفقت مع الولايات المتحدة على تدمير مخيم البارد من أجل توسعة قاعدة القليعات الجوية لتصبح قاعدة أميركية عسكرية كبرى تمتد من القليعات إلى النهر البارد. وعلى الرغم من افتضاح هذه المؤامرة إلا أن السلطة الفلسطينية ظلت غارقة في العمالة، في العمالة لأمريكا والكيان الإسرائيلي. لأن المخطط الأميركي يقضي بأن تكون السلطة الفلسطينية أداة قمع وقتل للمشروع الوطني الشعبي الفلسطيني الذي ظل حياً بفضل المقاتلين من بعض التنظيمات الجهادية الفلسطينية وقد دفعت الولايات المتحدة من خلال سفيرها في بيروت بعض الجهات الفلسطينية لافتعال أزمات أخرى في برج البراجنة ومخيم عين الحلوة حتى تمهد للقيام بعمل عسكري مماثل للعمل العسكري الذي تم في نهر البارد.

وبالمحصلة فإن السعي الأميركي لتطويع ما تبقى من مظاهر الرفض وثقافة المقاومة لن يتوقف طالما وجد في لبنان وفي السلطة الفلسطينية من غرق بثقافة الهزيمة وروّج لها بل ويقاتل من أجلها.

وماذا فعلت م.ت.ف وماذا فعلت هذه السلطة التي تدعي أنها تمثل الفلسطينيين أينما كانوا بما جرى للفلسطينيين العالقين على الحدود بين العراق والأردن وبين العراق وسوريا.

دفعت الولايات المتحدة باتجاه ترحيل قسم كبير من الفلسطينيين العالقين في الرويشد على حدود الأردن إلى البرازيل وبعض دول أمريكا اللاتينية لتوطينهم هناك وكذلك لترحيل قسم كبير إلى الهند حيث لا مأوى ولا أي مؤهلات للحياة هناك.

أما العالقون في التنف وعلى الحدود مع سوريا فإن نائب وزير خارجية كندا زارهم وعرض عليهم الهجرة كليا إلى كندا بمقابل التوقيع على التنازل عن حق العودة. ولا يدري أحد ما إذا تم الاتفاق أو لم يتم.

المهم في هذه القضايا أن السلطة لا تعير أي اهتمام لمشاكل شعب فلسطين المتوزعة هنا وهناك وهي مشاكل قاسية ومريرة على أبناء هذا الشعب المنكوب.

أما الصورة الأقسى فهي ما دفعت به الإدارة الأمريكية تجاه محاصرة غزة وشن الحرب الإعلامية على أبناء فلسطين في هذا القطاع. ونعتقد أن المخطط الأميركي اقتضى هذا الانقسام الفلسطيني الفلسطيني. ومن المعروف أن الأوساط الأمريكية كانت تغذي بعض الشخصيات الأمنية بالمال والسلاح حتى وقع ما وقع ومع كل ذلك فإن السلطة في رام الله رفضت أن تبقى هناك وزارة وحدة وطنية تمثل كل أبناء فلسطين، وظلت هذه السلطة مخدوعة بنفسها من أنها ما تزال المتفردة بالقرارات المصيرية للشعب الفلسطيني وليتها قرارات تحقق المطالب والمبادئ الأساسية للشعب الفلسطيني المنكوب إنما هي تريد تنفيذ المخطط الصهيوني الأميركي بتصفية القضية الفلسطينية تصفية تامة.

إن ثقافة الهزيمة والقابلية للاستعمار دفعت بعض قيادات السلطة بتعزية عائلة يهودية مستوطنة قتلت بسبب قصف إحدى المستعمرات بينما هذه القيادات اعتبرت أن عشرات الشهداء الذين سقطوا في غزة جراء القصف الصهيوني أمراً عادياً .

إن موقف السلطة المتخاذل والمتواطئ دفع الصهاينة لتصعيد حملة تصفية الشعب الفلسطيني في غزة والضفة. ونعتقد أن السلطة التي تقبع في رام الله وفي كل يوم يلتقي زعماؤها مع أولمرت والصهاينة ليست بعيدة من نابلس وقلقيلية وجنين. فهي أيضاً موجودة في الضفة الغربية. وعرف أفراد هذه السلطة ماذا يجري يومياً في هذه المناطق الفلسطينية التي لا تبعد عن أعينهم كثيراً. وكم حاجز موجود في الضفة بين المدن والمدن والقرى والقرى بل الأحياء والأحياء في مدينة واحدة فهل يدل هذا على أن السلطة وطنية تدافع عن شعبها؟

لبنان ثانياً:

أزمة لبنان حقاً هي من الأزمات الكبرى التي استعصت على الحل لأن الولايات المتحدة تريدها أزمة بلا حل إلا على الطريقة الأميركية الصهيونية.

المعادلة فيها متشابكة معقدة والقاسم المشترك بين فئات المجتمع اللبناني بات مغيباً وهكذا أريد له أن يغيّب وتُغلب عليه المصالح الذاتية الذاتية والتيارات الطائفية والمصالح التجارية الرأسمالية.

بدأت الأزمة بدءاً من الحرب الأهلية عام 1974 ولم يكن لبنان بمنأى عن تصفية حسابات إقليمية حتى باتت الأزمة ليست بمعزل عن بعض الدول العربية وبعض الأطراف الدولية.

وقد بات من الواضح أن بعض الفئات ارتبطت بالتوجه الأميركي الإسرائيلي وقبلت بثقافة انهزامية غير عربية لأنها شعرت شعوراً خاطئاً بأنها ترتبط بالغرب أكثر من ارتباطها بالعروبة تاريخاً وأمة وانتماءً.

ومضت الحقبة الأولى من الحرب الأهلية وما إن حل عقد الثمانينات حتى ظهرت إلى الوجود معادلة جديدة كانت غائبة أو مغيبة في العقود السابقة:

اشتعلت ثقافة المقاومة في أوساط الجنوبيين اللبنانيين المهددين دوماً من قبل جيش الاحتلال الصهيوني وفي أوساط الفئات الاجتماعية الفقيرة التي كان النظام الرسمي اللبناني قد أهملها وأهمل قراها وبلداتها.

في عام 1982 اجتاح الجيش الصهيوني الجنوب وحوصرت بيروت. ثم خرجت فصائل م ت ف من بيروت وتراجع الجيش الصهيوني عن بيروت إلى الجنوب. وقعت غالبية القرى الجنوبية تحت الاحتلال فاشتعلت المقاومة الإسلامية اللبنانية وتوسعت وساندتها سوريا وإيران حتى اشتد ساعدها تماماً فهزمت قوات الاحتلال وسقط العملاء من جيش لحد لا يلوون على شيء.

تبرز بعد التحرير لجنوب لبنان معطيات جديدة. فالقوى التقليدية اللبنانية ما عادت تلك القوى المؤثرة في التوجهات السياسية. والقوى الجديدة أصبح لها صوت يسمع وموقف يؤثر.

وتضاربت مصالح التقليديين مع مصالح الجيل المقاتل الجديد. وعليه فقد تضاربت ثقافتان متغايرتان. ثقافة المقاومة وثقافة الهزيمة.

اعتبرت ثقافة المقاومة أن هزيمة الجيش الإسرائيلي وانسحابه من جنوب لبنان انتصاراً عربياً وإنسانياً وكرست ثقافة المقاومة نفسها في كثير من وسائل الإعلام العربية وغيرها. وجاءت العمليات الاستشهادية الفلسطينية في فلسطين لتضيف إلى هذه الثقافة زخماً قوياً حتى بات الشارع العربي بشكل عام يحول خطابه ومصطلحاته لصالح هذه الثقافة المقاومة.

ازداد الشرخ الثقافي في الأوساط اللبنانية وظهر تماماً أن الوضع الذي يكرس ثقافة المقاومة يقلق أميركا كثيراً وكذلك الكيان الصهيوني. لذلك كان لابد من الضغط باتجاه ظهور ثقافة الانعزال ومد الجسور القوية مع التوجهات الأميركية الإسرائيلية.

وبدا واضحاً أن غالبية الزعامات الطائفية التقليدية قد تضررت سمعتها ومصالحها خاصة عندما ضغطت من أجل العفو عن عملاء الكيان الإسرائيلي مما يسمى جيش لحد إضافة لصراخها من أجل خروج القوات السورية من لبنان.

ظلت الأمور تراوح بين أخذ ورد لكن الولايات المتحدة والكيان الإسرائيلي نفذا مشروعاً خطراً يراد به الشرخ الذي لا يمكن أن يُصلح. فكان اغتيال الحريري ومجموعة الاغتيالات التي طالت بعض الشخصيات الصحفية والنيابية. ليقال إن سوريا وراءها.

وبغض النظر عن التفاصيل فإن سلسلة الاغتيالات التي نفذتها أيدي عملاء الموساد الإسرائيلي والـ CIA كانت وما زالت تقصد أن ينقسم الشعب اللبناني انقساماً حاداً قد يؤدي إلى حرب أهلية مدمرة تختلط فيها الأوراق كثيراً ويشاعُ وقتها أنه لابد من الاستعانة بأمريكا لحل الأزمة.

وفتحت واشنطن كل أبوابها لاحتضان رموز تمثيل ثقافة الهزيمة شر تمثيل. وبالمقابل فإن ثقافة المقاومة ترسخت بشكل علمي ودقيق في نفوس الغالبية العظمى من جماهير لبنان والأمة العربية.

فشلت أميركا في الوصول إلى أهدافها فأوعزت للكيان الصهيوني بأن يستعد لشن حرب على الجنوب وإنهاء وجود المقاومة بأي ثمن. وحدثت حرب تموز بين المقاومة

وجيش الاحتلال الصهيوني. وظن جماعة واشنطن أن هذه الحرب ستكون القاضية على ثقافة المقاومة واستمرت الحرب عشرات الأيام وكانت المقاومة الإسلامية المسلحة قد جسدت ثقافة المقاومة خير تجسيد. وبكل المقاييس استطاعت المقاومة الانتصار وخسرت القوات الصهيونية المعركة على كافة المستويات الأمنية والاقتصادية والعسكرية والنفسية. لقد أرادت أميركا استمرار الحرب لكن الصهاينة كانوا يصرخون ويألمون إلى أن أدركت واشنطن أنه من المستحيل القضاء على المقاومة وثقافة المقاومة.

توقفت الحرب وكان لابد من خلق ظروف جديدة تحول الانتصار إلى هزيمة نفسية. استغل مقتل الحريري. واستغلت ظروف الناس الذين هُدمت بيوتهم جراء القصف الإسرائيلي على بيروت وتحديداً على الضاحية الجنوبية. واستغلت الظروف الإقليمية فزرعت أميركا الشرخ الصعب بين اللبنانيين فإذا بحكومة تحكم. رموزها من الأكثرية المرتبطة بالمشاريع الأميركية. تتشبث في موقعها وتتجاهل مطالب الشعب اللبناني. وكلما لاح في الأفق أمل بالمصالحة كان السفير الأميركي في بيروت يعطي أوامره لهذا الفريق بالرفض. فيرفض لأنه لا يستطيع أن يتمرد على سيده الأميركي الذي يدعمه بالمال والإعلام والتسليح.

ذهب الحريري مثل ما يذهب غيره. فلا هو أهم ولا هو أكثر تأثيراً في السياسة.

اغتيل أبو جهاد الوزير واغتيل عرفات بالسم. اغتيل سابقاً ذو الفقار علي بوتو واغتيلت لاحقاً بي نظير بوتو. اغتيلت انديرا غاندي وراجيف غاندي، اغتيل جون كندي. اغتيل الملك فيصل. ولكن لم تشكل محكمة دولية للتحقيق في هذا الاغتيال ومرت سنوات واستُبدل المحققون وإلى الآن لم تظهر النتائج لأن أمريكا لا تريد أن تظهر النتائج الحقيقية. وهي تريد أن ينحرف المسار منذ البدء حتى تدان سوريا بينما القاتل الحقيقي يقبع في دائرة الموساد CIA.

يصبح مقتل الحريري قميص عثمان. كلما طرحت جماهير الشعب حلا للأزمة قالوا وماذا بشأن من قتل الحريري؟ وتحت هذه المظلة ومظلات أخرى جاءت قوات أوروبا إلى جنوب لبنان لتحمي الكيان الإسرائيلي. وتحت هذه المظلة دمر مخيم نهر البارد. وتحت هذه

المظلة حورب الرئيس أميل لحود لأنه مَثَّل ثقافة مقاومة بشكل من الأشكال وتشتد الأزمة ويقع لبنان في فراغ دستوري. فهو من دون رئيس للدولة ومن دون وزارة حقيقية تمثل الجميع. ومن دون مجلس نيابي متكامل يمثل جميع الأطياف السياسية وغيرها.

وبالمحصلة فإن بعض الأطراف اللبنانية تريد أن تكرس القابلية للاستعمار على المستوى النفسي والعقلي قبل المستوى السياسي أو العسكري.

وإذا كانت هذه الفئات اللبنانية ترى أن مصلحتها الأساسية تقتضي التخلي عن الثوابت العربية ومن ثم الاندماج مع الوجهات الأميركية الإسرائيلية فان ثقافة المقاومة ليست يتيمة ولا لقيطة. إنها هي الشيء الطبيعي لدى جماهير اللبنانيين والجماهير العربية الإسلامية طالما هناك احتلال إسرائيلي وأميركي للأرض العربية الإسلامية والمعادلة ببساطة تقول. إذا انتهى الاحتلال الصهيوني في فلسطين وانتهى الاحتلال الأميركي في العراق والخليج فإن جماهير الأمة لا تريد ولا تحب أن تبقى متوترة تحمل السلاح ويُستشهد أبناؤها. الكل يريد أن يعيش بسلام ولكن السلام لن يأتي حتى تزول الهزيمة ويزول الكيان الصهيوني المحتل وتزول جميع التهديدات الأميركية الغربية للمنطقة العربية الإسلامية.

إن ثقافة المقاومة أمر طبيعي طالما هناك احتلال واعتداء. ونعتقد أن أي مساومة على هذه الثقافة هي مساومة على الثوابت والمبادئ الأساسية. فإذا نزعنا ثقافة المقاومة شوهنا الانتماء وشوهنا الهوية وشوهنا الشخصية العربية الإسلامية أكبر تشويه.

العراق ثالثاً:

لا ينفصل غزو العراق عن قضية فلسطين ولا عن غزو أفغانستان. ولا ينفصل عما يجري في لبنان وغير لبنان ولا ينفصل عن التهديد الأميركي لسوريا وقوى الرفض اللبنانية والفلسطينية وعن التململ في الشارع العربي والإسلامي ولا حتى العالمي.

في العمق الفكري والثقافي هناك حرب على العروبة والإسلام. وفي المقابل هناك مقاومة فكرية ودينية وثقافية للهيمنة الأميركية الغربية ومحاولاتها لتجديد الاستعمار وغزو المنطقة العربية مجدداً.

هناك صراع بين ثقافة الانتماء العربي الإسلامي وثقافة الهزيمة التي باتت الأنظمة العربية تروج لها وتحاول تسويقها لدى الجماهير العربية العريضة.

غزو العراق يعني أن قوة السلاح تريد أن تغير الذهنية العربية الإسلامية. بعد أن فشلت حملات التشويه التاريخية والدينية وبعد أن فشلت السياسة في جر العراق وبعض الدول الممانعة إلى الحضن الأميركي المتجمد.

هناك حرب صليبية كما قال جورج بوش وهناك دفاع عربي إسلامي عن الأرض والعرض والهوية والانتماء. فالذي جرى في العراق هو إعادة كبرى لمحو الهوية العربية التي بدأت تتشكل على أرضية الرفض لوجود الكيان الصهيوني والتحركات الاستعمارية المشبوهة.

الذي جرى في العراق هو تحقيق الهزيمة للحضارة العربية الإسلامية متمثلة بجعل بغداد مقبرة للعرب ولثقافة العرب وحضارة العرب، مقبرة لكل إنجازات العرب في عصر الرشيد والمأمون من ثقافة وفكر وترجمة واستقطاب علماء وأدباء.

فإذا دمرت بغداد يعني حسب رؤية اليهود الصهاينة والمحافظين الجدد تدمير العمق الحضاري للعرب والمسلمين أينما كانوا. ولهذا فإن يهود الكيان الصهيوني قالوا يوم سقطت بغداد: إن الرب رب اليهود انتقم من العراقيين لأنهم سبوا اليهود في القرن السادس ق.م أذلوهم عندما ساقوهم أسرى حفاة عراة جزاء على ما اقترفوه من احتلال لفلسطين وعدوان على شعب كنعان العربي.

إذاً بعد فلسطين جاء دور العراق وليس عبثاً أن يحدث ذلك؛ لأن ما بين فلسطين والعراق كبير ومهم جداً فمن العراق ذهب النبي إبراهيم عليه السلام بأمر الله إلى الأرض المباركة فلسطين. ومن فلسطين ذهب إلى مكة لبناء قواعد البيت الحرام. ومن بابل العراق انطلق العرب بقيادة نبوخذ نصر لتحرير الأرض المباركة من القبائل الهمجية العبرانية وعندما استنجد بنو كنعان بأبناء عمومتهم من الكلدانيين البابليين كانوا يدركون أن هذه القبائل الهمجية المتخلفة من العبرانيين تشكل خطراً على المنطقة كلها. لذلك كان تحرير فلسطين وكان السبي البابلي الحق لهؤلاء الذين

عاثوا في الأرض فساداً وإفساداً. نبوخذ نصر لم يسبِ الشعب العربي الكنعاني. بل حرره من التسرب العبراني المقيت.

والعراق لأنه أراد أن يعيد ما فعله نبوخذ نصر ويحرر فلسطين هبت قوى الغرب الصهيونية وجُلبت إلى العراق لتدمر قبل أن يدمر الكيان الصهيوني المحتل إنها ثقافة التاريخ العربي الحضاري وثقافة المقاومة والدفاع عن الوجود والهوية والأرض لذلك كان الغزو الأميركي المدمر للعراق لأنه يريد تدمير هذه الثقافة وهذا التاريخ وهذا الانتماء.

لم يع عملاء أميركا هذه المعادلة وغابت عنهم أعماق الصراع فلم تر عيونهم سوى التخلص من النظام العراقي السابق ووقعوا في الشرك وكان من نتيجة ثقافتهم الانهزامية أن قُتل العراقيون وشُردوا وسُرقت حضارتهم ومعالمهم الأثرية من بابل. ومن متحف بغداد ومن كل بلد أو مدينة دلت آثارها على عمق الحضارة العربية الإنسانية.

وعندما ينتفض العراقيون ويقاومون هذا الاحتلال فإنهم يدافعون عن ثقافة المقاومة وهي الثقافة الأصيلة والأصلية. والثقافة الطبيعية لهذا الشعب العربي الحضاري.

أميركا تحارب المقاومين وتقتل أهلهم وتغتصب حقوقهم وأعراضهم وأراضيهم لأنها تريد العراق كل العراق مستسلماً يروجُ لمحاسن الاستعمار الكاذبة الخادعة.

والأشد غرابة اليوم أن بوش يزور الكيان الصهيوني أولاً ثم البحرين ثم الإمارات ثم السعودية يرقص في البحرين والرياض بالسيف الملكي البحريني والسعودي. ويداً بيد مع أحد الأمراء أو مع الملك. السيف يحمله بوش ليذل العراقيين والعرب جميعاً وليقول بهذا السيف دمرت العراق. وبهذا السيف أهدد سوريا وإيران والمقاومين من شعب فلسطين وشعب لبنان.

ويبدو أن العرب عربان: عرب متحضرون يعتزون بحضارتهم وتاريخهم. وعرب ليس لهم جذور حضارية وتاريخية لذلك لا يهمهم إن دُمر العراق وحضارة العراق. ولا يهمهم إن دُمرت سوريا وحضارة سوريا لذلك بدا أنهم لا يعيرون اهتماماً إلا لأسعار

النفط وصفقات السلاح التي ترفع من شأن الاقتصاد الأميركي. والأسلحة مجرد خردوات لا تستعمل لا في تحرير فلسطين ولا العراق. ولا تعقد صفقاتها إلا من أجل دعم أميركا وإسرائيل وترويج ثقافة الهزيمة بين العرب والمسلمين.

ونعتقد أن المقاومة المشروعة في العراق تعبر عن ثقافة مغايرة لثقافة النظام العربي الرسمي. ونعتقد أيضاً أن هذه المقاومة تدرك تماماً ماذا فعل النظام العربي الرسمي تجاه العراق منذ بداية الحرب وحتى هذه اللحظة. وندرك أيضاً أن آلاف السنين تفصل بين ثقافة المقاومة وثقافة الهزيمة وأن مسافات مكانية لا متناهية تفصل بين جغرافية الثقافة المقاومة وجغرافية الثقافة الانهزامية المروجة للقابلية للاستعمار والتصالح مع الشيطان.

العراق محطة في سياق التاريخ كما هي فلسطين. لكن طبيعة السنة الكونية التي سنها الله تقول: إن ثقافة الباطل إلى زوال وإن ثقافة الحق هي المنتصرة دائماً. ونعتقد أن المقاومة حق. وثقافة المقاومة حق وأن الاستسلام باطل وثقافة الهزيمة باطلة ولا بد أن يفصل ميزان المنطق بين الحق والباطل.

السودان رابعاً:

لم يعرف هذا البلد العربي الراحة منذ أكثر من ربع قرن. وكلما بدا هناك حل لمشكلة برزت مشكلة أخرى تستنزف الموارد من بشر وجهد ومال واقتصاد.

وإذا توقفنا عند الوصف دون أن ندرس الأبعاد الإقليمية والدولية لما يجري في السودان فشلنا في معرفة الأسباب الحقيقية الكامنة وراء ما جرى ويجري في هذا البلد.

السودان هو البلد الأكبر مساحة في الوطن العربي وهو الأكثر تنوعاً من العروق والأجناس فيه العرب والنوبيون وفيه الشمال وفيه الجنوب الأفريقي وفيه الشرق وقبائل الشرق وفيه دارفور وما أدراك ما قبائل دارفور العربية وغير العربية تُرك السودان إلا من تحركات هامشية. ولما تفجرت أرضه بالنفط بدأت التحركات تأخذ منحى دولياً شرساً.

صعدت الصراعات بين الجنوب والشمال وراح الناس يتساقطون قتلى وجرحى ومشردين ومعوقين حتى استنزفت الطاقة البشرية وبدا كأن الصراع الدموي هو صراع

بين المسلمين وغيرهم من المسيحيين والوثنيين. راحت أوساط كثيرة تغذي الصراع ودخلت على الخط قوى صليبية دولية وتحت شعار حماية المسيحية دفعت الأموال والسلاح والمواقف وراحت تتمدد هذه الحرب حتى وصلت إلى عشرين سنة عجاف إلا من القتل والدماء.

وتهدأ الحرب لا غالب ولا مغلوب وتُعقد المصالحة ويتقاسم الناس الموارد. لكن قوى دولية لا تريد أن ترى السودان معافى من القتل والدم والدمار فصنعت بؤرة جديدة للحرب والصراع فكانت دارفور.

دارفور مساحات واسعة من الأرض المخزونة بالبترول والمعادن الثمينة. فكيف يمكن أن تتمدد أيدي أميركا وفرنسا والغرب الصناعي والشرق الصيني الناهض كالعملاق لتقسيم هذه الموارد ويُترك أهلها في بيوت من القش القابل للاحتراق بسبب عقب لفافة تبغ يلقيها أحد المدسوسين أو المهووسين أو أحد أفراد العملاء الذين يشتغلون كالخفافيش في الظلام.

وإذا كان الطمع الاستعماري ينظر إلى دارفور كمخزن نفطي فإنه ينظر إلى السودان كشعب مثقف متعلم يحمل في داخله الذهني ثقافة عربية ترفض الاستسلام والهزيمة وترفض مقولات القابلية للاستعمار.

وعندما يتبنى الشعب السوداني شيئاً من مبادئ تطبيق الشريعة الإسلامية تزداد الحملة الاستعمارية الشرسة فتصبح النظرة مزدوجة لهذا البلد. فهو يتبنى الإسلام ويرفض الثقافة الاستعمارية ويريد أن يستقل اقتصاده بعيداً عن الاستغلال الأميركي الشرس.

من هنا كانت وقفتنا عند هذه المساحات الشاسعة من الأرض. هذه الأرض التي لو بنيت سدود على مجاري أنهاره لقامت زراعات وصناعات تكفي السودان والصومال وأريتيريا وتشاد. ولكن من يتصدى لهذه المشاريع ويدفع باتجاه التطور والتقدم لهذه الشعوب العطشى الجائعة والتي يموت أطفالها من سوء التغذية والمياه غير الصالحة للشرب والأمراض الفتاكة كالملارية وغيرها.

الغرب يريد السودان ضمن دائرة النفوذ الاستعماري وهو يأبى ويحاول أن يتصدى لكل هذه المشاريع المريبة. تُفرض العقوبات عليه وتقصف مصانع أدويته ويُغذى مرضى النفوس من أبنائه ليقوموا بتشكيل فصائل مسلحة لا تعرف ماذا تريد سوى إثارة القلائل والنزاعات العرقية والدينية والقبلية.

تدخل الولايات المتحدة بقوة على الأزمة وفرضت عقوبات على السودان عن طريق الضغط على مجلس الأمن. وأرادت أن تكون هناك في دارفور قوات دولية إلى جانب القوات الأفريقية ومن ثم يحصل نوع من دوام الحال لهذه القوات التي ستلحق بها شركات النفط والاستثمارات الكبرى لتمتص نفط دارفور وتنطلق منه لمد نفوذها الإستراتيجي في وسط إفريقيا أو بالأحرى إلى إفريقيا كلها.

إن طبيعة التوجه الأميركي الاستعماري تفرض على الإدارة السياسية الأميركية مزيداً من التوحش الاقتصادي في ظل العولمة ومزيداً من التمدد الأخطبوطي في كل الاتجاهات. ولا يعني لها الأرضية على أسس عرقية يتسيد فيها الانجلوساكسون. وتتبعه بقية الأعراق والقوميات الأوروبية وحسب سلم التسلسل العرقي الذي يشربه صموئيل هنتغتون في صدام الحضارات.

أميركا في هذه النظرية ترى أن السودان على الرغم من فقره ومشاكله يعتبر دولة ممانعة على الأقل في وجه ثقافة الاستسلام والهزيمة التي تريد أميركا فرضها بأي شكل من الأشكال.

ربما من خلال حماية المتمردين أو عصابات القتل المتخلفة والموجودة في دارفور وربما من خلال ما يسمى الشرعية الدولية التي تحت غطائها تقوم قوات أوروبية وأميركية باحتلال أجزاء من دارفور. وربما تحت ذريعة محاربة الإرهاب.

من الواضح جداً أن مقاييس الرضا والغضب لدى أميركا مقاييس مصلحية إستراتيجية فهي ترى مثلاً في مصر حليفاً إستراتيجياً وكذلك السعودية لأن مثل هذه الدول لا تمانع من الاعتراف والتطبيع مع إسرائيل. لكن السودان الذي انتهج نهجاً قومياً إسلامياً ولا يريد أن يفرط بمبادئه يصبح من الأعداء مثله مثل سوريا وإيران وليبيا ومثله مثل المقاومين في جنوب لبنان وفلسطين.

إن السودان بشكل من الأشكال ينفرز استراتيجياً إلى جانب مشروع المقاومة وثقافة المقاومة لهذا كان العداء الأميركي صارخاً له ولمنهجه. تماماً مثل عداء أميركا لسوريا والمقاومة المشروعة في لبنان وفلسطين والعراق وأفغانستان.

مشروع بمواجهة مشروع ولابد في النهاية من أن يسجل التاريخ أن الصبر السوداني على معاناته وتقسيماته والمؤامرات عليه لابد أن ينتصر لأن قدر الشعوب التي تدافع عن كرامتها الانتصار مهما صعُبت الظروف وقست.

obeikandl.com